الوعد الكاذب لاتفاقات أبراهام

The False Promise of the Abraham Accords

مجلة فورين أفيرز الأمريكية

جيريمي بريسمان

أستاذ العلوم السياسية ومدير دائرة دراسات الشرق الأوسط بجامعة كونيتيكت

يسار ابو خشوم

تأتي هذه المادة ضمن «مخرجات مراكز الأبحاث الدولية» الصادرة عن المركز

مركز الأبحاث

مؤسسة من مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية، تأسس عام 1965 في لبنان. يهدف المركز منذ تأسيسه التركيز على تغطية الصراع العربي- الإسرائيلي من خلال إصدار الكتب وعقد الندوات والمؤتمرات وأرشفة الوثائق والمخطوطات التي تهدف إلى تحقيق هذا الغرض.يعتمد المركز في بحوثه ونشاطه الفكري أسلوب العرض الموضوعي الموثّق للقضايا التي تتناولها دراساته وكتبه ونشراته الدورية، ويعتمد مناهج البحث العلمي المتبعة في العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

مركز الأبحاث- منظمة التحرير الفلسطينية - القدس- فلسطين / تلفاكس :9702966228 +
e-mail: info@prc.ps
http://www.prc.ps

15 أيلول (سبتمبر) 2021

بعد عام من إبرام اتفاقات أبراهام التطبيعية بين بعض الدول العربية وإسرائيل، يقدم الكاتب في هذا المقال تقييما لمدى نجاح وجدوى هذه الاتفاقات، ولاسيّما في ضوء التصعيد الإسرائيلي الأخير في الأرض الفلسطينية الذي أعاد الصراع الإسرائيلي الفلسطيني إلى الواجهة من جديد.

يشير الكاتب إلى أن النقطة الأهم في هذه الاتفاقات تتمثل في فصلها عن حلّ حقيقي للقضية الفلسطينية، إذ أن الإمارات والموقعين الآخرين اشترطوا أن تمتنع إسرائيل عن الضم القانوني لأراض إضافية في الضفة الغربية، لكن لم يطالبوا بمزيد من التنازلات بعيدة المدى مثل إنهاء الاحتلال الإسرائيلي أو إقامة دولة فلسطينية قبل التوقيع.

يضيف الكاتب بأن هبّة أيار الماضي في الأرض الفلسطينية والتصعيد الإسرائيلي ضد قطاع غزّة شكّلا أول اختبار لجدوى فصل عملية التطبيع هذه عن القضية الفلسطينية. انتقد مسؤولون إماراتيون معاملة إسرائيل للفلسطينيين في ذلك الوقت، لكن الإمارات لم تقطع العلاقات مع إسرائيل أو تجمد الانفتاح الدبلوماسي بين البلدين. وفقا للكاتب كانت الرسالة واضحة: المواجهات الإسرائيلية الفلسطينية لن تؤخر أو تعرقل عملية التطبيع الإماراتي الإسرائيلي. في حزيران/ يونيو، أصبح وزير الخارجية يائير لابيد أول وزير إسرائيلي يقوم بزيارة رسمية إلى الإمارات العربية المتحدة، حيث حضر افتتاح السفارة الإسرائيلية في أبو ظبي والقنصلية في دبي وافتتحت الإمارات سفارتها في تل أبيب بعد فترة وجيزة.

خارج التسلسل

يوضح الكاتب بأنه منذ إعلان الجامعة العربية عام 1974 منظمة التحرير الفلسطينية ممثلًا شرعيًا ووحيدًا للشعب الفلسطيني، مرورًا باتفاق أوسلو، حتى بلورة مبادرة السلام العربية عام 2002 بقيادة المملكة العربية السعودية، كان التسلسل مهمًا، حيث تمثل في مخاطبة فلسطين أولاً، ثم متابعة مشاركة الدول العربية الاقتصادية والدبلوماسية مع إسرائيل.

يحاجج الكاتب بأن كسر هذه الحلقة وهذا التسلسل بدأ مع توقيع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية عام 1979، حيث تجاوز الرئيس المصري أنور السادات مركزية القضية الفلسطينية لحساب المصلحة الوطنية الضيقة، لكن حاول الرئيس المصري آنذاك الحفاظ على ورقة التوت من خلال ربطه نجاح هذا التطبيع للعلاقات بحلّ القضية الفلسطينية. لكن بحلول عام 2020، لم تجد حكومات البحرين والمغرب والسودان والإمارات العربية المتحدة حاجة لإيجاد غطاء سياسي لاتفاقياتها الخاصة مع إسرائيل، ولم يشترطوا أي مقابل حقيقي لصالح القضية الفلسطينية كالاستقلال أو التعهد بالتفاوض مع القادة الفلسطينيين، ضاربين بعرض الحائط جوهر مبادرة السلام العربية التي ربطت تطبيع العلاقات بين الدول العربية وإسرائيل بحلّ عادل ودائم للقضية الفلسطينية.

التطبيع وتلطيف الاحتلال

يحاجج الكاتب بأن اتفاقات التطبيع هذه، إن افترضنا أن جزء من أهدافها هو تخفيف أو تلطيف الاحتلال الإسرائيلي، لم تنجح في ذلك، وهذا ما أثبتته هبّة أيار الماضي التي شملت كل الأرض الفلسطينية بما في ذلك، فلسطينيي الداخل، والتي دللت على أن إسرائيل ماضية في مخططاتها التهجيرية رغم وعودها بوقف سياسة الضمّ. من جهة أخرى عادت القضية الفلسطينية لتتصدر المشهد العربي والعالمي من خلال المسيرات التضامنية التي جابت معظم دول العالم التي أعادت إلى الأذهان جوهر الاحتلال الإسرائيلي التهجيري والإقصائي.

وفقا للكاتب، لم يوجه الموقعون على اتفاقات أبراهام، سوى انتقادات معتدلة. خلال الاحتجاجات الأولى في الشيخ جراح، دعا بيان صادر عن وزارة الخارجية الإماراتية إسرائيل إلى «تحمل المسؤولية تجاه التهدئة وإنهاء جميع الاعتداءات والممارسات التي تديم التوتر والعداء». مع اشتداد حدة الاشتباكات، رد وزير الدولة الإماراتي، خليفة شاهين، مرارًا الدعوة إلى وقف التصعيد وضبط النفس و»الحفاظ على الهوية التاريخية للقدس المحتلة». أوقفت الخطوط الجوية الإماراتية الرحلات الجوية إلى إسرائيل مؤقتًا. وانضمت دول أخرى: ناشدت البحرين إسرائيل لوقف «الاستفزازات ضد أهل القدس»، وأعرب المغرب عن «قلقه العميق»، وصرح رئيس الحكومة الانتقالية السودانية أن «ما يحدث في غزة ضد المدنيين العزل أمر مؤسف» لكنه أكد أن التطبيع والضغط من أجل دولة فلسطينية يجب أن يعاملوا على أنهما أمران منفصلان. وبعد أيام قليلة من انتهاء الحرب الإسرائيلية الفلسطينية بوقف إطلاق النار، وقعت إسرائيل والإمارات العربية المتحدة معاهدة ضريبية، واستضافت دبي منتدى استثمار عالمي مع رعاة إسرائيليين ومتحدثين إسرائيليين رفيعي المستوى، وعززت المكاتب الدبلوماسية واتفاقيات التعاون الجديدة العلاقات الثنائية بشكل أكبر خلال الصيف.

خاتمة

يختم الكاتب مقاله بالقول بأن التعايش بين التطبيع العربي الإسرائيلي الرسمي والاحتلال الإسرائيلي يبدو غير مرجح في يوم من الأيام، لكنه أصبح الآن حقيقة واقعة. رغم ذلك، ليست كل الدول العربية على متن الطائرة أيضًا. لا تزال هناك علامة استفهام كبيرة معلقة على المملكة العربية السعودية، التي قاومت حتى قبل ربيع هذا العام تحريض الحكومتين الإسرائيلية والأمريكية على الشروع في عملية التطبيع. حتى الآن يبدو أن نموذج «التطبيع رغم الاحتلال» غير مقبول لدى الرياض. وعلى الرغم من أن إدارة الرئيس الأمريكي جو بايدن كانت داعمة للتطبيع، إلا أنها لم تقدم نفس الحوافز التي قدمها سلفها. في حين حصلت الإمارات على طائرات مقاتلة متقدمة وحصل المغرب على الاعتراف بالأرض المتنازع عليها، لا يمكن للحكومات العربية الأخرى أن تتوقع صفقات جذابة مماثلة مع واشنطن لتسهيل مشاركتها.

وفقا للكاتب، إن تحقيق علاقات طبيعية بين الدول هو بحد ذاته تطور إيجابي. ولكن في حالة الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، سيكون من الخطأ اعتبار التطبيع دواء لكل داء. قد لا يكون للقضية الفلسطينية نفس الثقل في المنطقة الذي كانت عليه في السابق، لكنها لم تحل. على الرغم من التقدم الذي أحرزته إسرائيل في بناء العلاقات مع بعض الدول العربية، إلا أن الاحتلال لا يزال يمثل مشكلة قوية ومصدرًا لعدم الاستقرار. إن تجاوزها من خلال الدبلوماسية الإقليمية لن ينجح في إخفائها.